

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

(26) والجواب انَّ من كان ملماً بحقائق القرآن وعارفاً بلسانه يقف على عدم وجود أيِّ تناقض وتناف بين ذلك النفي وهذا الاثبات، وذلك لأنَّ الهدف من حصر التدبير باللَّه سبحانه هو حصره به على وجه الاستقلال، أي من يدبر بنفسه غير معتمد على شيء. وأمَّا المثبت لتدبير غيره، فيراد منه أنَّهُ يدبر بأمره وإذنه وحوله وقوته على النحو التبعية فكل مدبر في الكون من ملك وغيره فهو مظهر أمره ومنفَّذ إراداته. وليس هذا بعزيز في القرآن ترى أنَّهُ سبحانه ينسب فعلاً لنفسه وفي الوقت نفسه ينسب لشخص آخر، ولا تناقض، لاختلاف النسبتين في الاستقلال والتبعية، قال سبحانه: (اللَّهُ يَتَّوَفَّاكَ بِالْإِذْنِ نَفْسًا حِينَ مَوْتِهَا) (1) و قال: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّاكُمُ رُسُلُنَا). (2) فالتوفِّي على وجه الاستقلال هو فعله سبحانه، وأمَّا التوفِّي بحوله وقدرته وإرادته وأمره فهو فعل الرسل. وبعبارة أخرى: هناك فعل واحد وهو التوفِّي، يُنسب إلى الله بنحو وإلى رسله بنحو آخر، دون أيِّ تناف وتنافر بين هذين النسبتين. ونظيره قوله سبحانه: (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَايِعُ تُون) (3) وفي الوقت _____ 1 - الزمر|42. 2 - الانعام|61. 3 - النساء|81.